

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج حياة الشباب في صدر الإسلام

الحلقة التاسعة والسبعون

أحمد بن حنبل (رحمه الله)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد : -

أيها المستمعون الكرام، معشر الشباب ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، نقف اليوم مع طرف من حياة فتى من فتيان الإسلام ، الذي ساد في العلم صغيراً ، فبرع وأفقى ولم يتجاوز سن الشباب ، إنه أحمد بن حنبل (رحمه الله) .

مما يدل على سعة علم الإمام في شبابه وقيامه في الفتيا ، يقول نوح بن حبيب القُومسي سلمت على أحمد بن حنبل في سنة ثمان وتسعين ومئة بمسجد الخيف وهو يفتي فتيا واسعة . وفي هذا الوقت كان عمر الإمام أحمد (رحمه الله) نحواً من أربع وثلاثين عاماً، أي أنه ما زال في عز شبابه (رحمه الله) .

ومع هذه المكانة للإمام أحمد (رحمه الله) فإنه لم يكن من أصحاب الأموال ، ولا يكاد في بعض الأحيان يجد حاجته الضرورية ، فلم يشغل نفسه بالبحث عن المال ، وربما جاءه العطاء وهو في أشد الحاجة إليه فيرفضه تورعاً .

ذكر الذهبي أن شيخاً كان عنده كتاب بخط أحمد بن حنبل فقال كنا عند ابن عيينة سنة ففقدت أحمد بن حنبل اياما فدللت على موضعه فجئت فإذا هو في شبيه بكهف في جواد فقلت سلام عليكم ادخل فقال لا ثم قال ادخل فدخلت واذا عليه قطعة لئدٍ خلق فقلت لم حجبتني فقال حتى استترت فقلت ما شانك قال سرقت ثيابي قال فبادرت إلى منزلي فجئته بمئة درهم فعرضتها عليه فامتنع فقلت قرضا فأبى حتى بلغت عشرين درهما ويأبى

فقلت ما يحل لك ان تقتل نفسك قال ارجع فرجعت فقال اليس قد سمعت معي من ابن عيينة قلت بلى قال تحب ان انسحه لك قلت نعم قال اشتر لي ورقا قال فكتب بدراهم اكتسى منها ثوبين .

وعن الرمادي سمعت عبد الرزاق وذكر أحمد بن حنبل فدمعت عيناه فقال بلغني ان نفقته نفدت فأخذت بيده فأقامته خلف الباب وما معنا احد فقلت له انه لا تجتمع عندنا الدنانير اذا بعنا الغلة اشغلناها في شئ وقد وجدت عند النساء عشرة دنانير فخذها وأرجو ان لا تنفقها حتى يتهيأ شئ فقال لي يا أبا بكر لو قبلت من احد شيئا قبلت منك .

وقال عبد الله: قلت لأبي: بلغني ان عبد الرزاق عرض عليك دنانير . قال نعم وأعطاني يزيد بن هارون خمس مئة درهم اظن فلم اقبل وأعطى يحيى بن معين وأبا مسلم فأخذا منه.

وحكى الطعامة ، فرمى بقي الإمام أحمد الأيام جائعاً لا يجد ما يسد به جوعه، فعن أبي إسحاق الجوزجاني قال كان أحمد بن حنبل يصلي بعبد الرزاق فسها فسأل عنه عبد الرزاق فأخبر انه لم يأكل منذ ثلاثة ايام شيئاً.

ومع شدة الحال هذه هذه فإنه لم ينشغل عن طلب العلم وتعليمه ، فقد كان رحمه الله قدر صرف كل جهده ووقته وما يحصل عليه من مال في طلب العلم . أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، ولهذه الصفات وغيرها في الإمام أصبح له في قلوب الناس مكانة كبيرة ، فكانوا يهابونه ويجلونه ، لا لماله ، ولا لنسبه وحسبه ، ولا لمنصبه ومركزه ، بل لتقواه وعلمه ، وهذا دليل على مكانته عند ربه سبحانه وتعالى .

قال المروذي سمعت بعض الواسطيين يقول ما رأيت يزيد بن هارون ترك المزاح لأحد إلا لأحمد بن حنبل .

و قال أحمد بن سنان القطان ما رأيت يزيد لأحد اشد تعظيماً منه لأحمد ابن حنبل ولا اكرم احدا مثله كان يقعه الى جنبه ويوقره ولا يمازحه .

وقال عبد الرزاق ما رأيت احدا افقه ولا اورع من أحمد بن حنبل . قال الذهبي : قال هذا وقد رأى مثل الثوري ومالك وابن جريج . وقال حفص بن غياث ما قدم الكوفة مثل أحمد .

وقال قتبية خير اهل زماننا ابن المبارك ثم هذا الشاب يعني أحمد ابن حنبل وإذا رأيت رجلا يحب أحمد فاعلم انه صاحب سنة ولو ادرك عصر الثوري والاوزاعي والليث لكان هو المقدم عليهم فقليل لقتيبة يضم أحمد إلى التابعين قال إلى كبار التابعين.

وفي هذه الأخبار عبرة للشباب في هذا الزمان ، فإنه قلما تجد شاباً إلا وعنده من القوت والملبس ما يكفيه لزمن طويل ، بل عنده الكثير مما يفضل عن حاجته ، وقل إن شئت ، لم يعد الشاب يفكر في الأشياء الضرورية للحياة ، بل أصبح يفكر في كمالياتها.

ومع هذه الكفاية في الحاجيات لا تجد إلا النادر من الشباب من يصرف همه وجهده في طلب العلم وتعليمه ، فكيف لو كان مشغولاً بطلب رزقه الضروري من مأكل وملبس ونحوه .

أضف إلى ذلك ما تيسر للشباب في هذا الزمان من وسائل الحصول على العلم ، فهذه الكتب بأحجامها وأصنافها وألوانها وتنوع فنونها وطبعاتها الفاخرة متوفرة في كل مكان سواء للاقتناء عن طريق الشراء ، أو للاطلاع عن طريق المكتبات العامة . أضف إلى ذلك ما توفر على أقراص الحاسب من آلاف المجلدات التي يسهل الاطلاع عليها عليها، ربما حملها الشاب في جيبه ، تلك الكتب التي تحتاج فيما سبق إلى كذا بغير حتى يحملها من مكان إلى آخر .

لا شك أن هذا من نعم الله سبحانه وتعالى على الناس في هذا الزمان ، والنعم تحتاج إلى شكر، وشكر كل نعمة بما يناسبها، ومن شكر الله سبحانه وتعالى على تسير سبل العلم في هذا الزمان هو الاستفادة من هذه السبل في الحصول على العلم النافع وتعليمه. فإذا كان المعلم في السابق لا يستطيع أن يلقي في دروسه أكثر من بضع مئات هذا مع المبالغة ، فإنه في هذا الزمان يستطيع أن يعلم مئات الآلاف ، بل إن شئت قل الملايين من البشر ، بما يث من هذه الدروس العلمية عبر وسائل الاتصال الحديثة ، التي يستقبلها الناس في أنحاء

مختلفة من الكرة الأرضية .

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، في الختام نسأل المولى جل وعلا أن يلهمنا
رشدنا ، وأن يوفقنا لصلاح ديننا ودنيانا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة
والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وإلى أن ألقاكم أستودعكم الله ،
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .